أنثروبولوجيا الاتصال: مقاربة مفاهيمية من حيث التعريف الخصائص والمجالات

Anthropology of Communication: A Conceptual Approach in Terms of Definition Characteristics and Fields

بلحوسين نصيرة[1]

belhocinenacera15@gmail.com

جامعة خميس مليانة -الجزائر-

قسم علوم الإعلام والإتصال

تاريخ الإرسال: 2024/10/05	تاريخ القبول: 2024/10/30	تاريخ النشر: 2024/11/19

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء حول موضوع أنثروبولوجيا الاتصال،وذلك من خلال تقديم خلفية معرفية ومفاهيمية حول هذا المصطلح والمصطلحات المشابهة له، وبعدها نتحدث عن الخلفية التاريخية التي أدت الى ظهورها،ثم ننتقل بعد ذلك لذكر أهم الخصائص والمميزات التي تمتاز بها،وأخيرا نذكر المجالات التي تشملها أنثروبولوجيا الاتصال.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي لكونه الأنسب لمثل هذه والدراسات،وذلك من خلال القراءة النقدية للكتب والمقالات العلمية والدراسات الاكاديمية التي تحدثت عن موضوع دراستنا، مع التركيز على الوصف الكيفي الذي يصف لنا خصائص الظاهرة وعناصرها.

الكلمات المفتاحية : الأنثروبولوجيا؛ الاتصال؛ الأنثروبولوجيا الاتصالية؛ المقاربة.

Abstract:

This study aims to shed light on the subject of the anthropology of communication by providing a foundational conceptual and theoretical background on this term and related terms. It proceeds to discuss the historical context that led to its emergence, followed by an outline of its main characteristics and distinctive features. Finally, the study addresses the various fields encompassed by the anthropology of communication.

In this study, we adopt a descriptive methodology, as it is most suitable for studies of this nature. This approach involves a critical review of books, scientific articles, and academic studies that have addressed our topic, with an emphasis on qualitative description to outline the phenomenon's characteristics and components.

Keywords: anthropology; communication; communicative anthropology; approach.

[1] المؤلف المرسل: بلحوسين نصيرة

مقدمة:

يعتبر الاتصال ظاهرة اجتماعية مصاحبة لحياة الانسان منذ القدم،وذلك راجع لحاجته الماسة للتواصل مع الأخر المختلف عنه من حيث الجنس، الشكل، اللغة، الثقافة، الحالة الاجتماعية،ويكون الهدف من هذا الاتصال والتواصل هو تبادل المعلومات والأفكار،ووجهات النظر حول المواقف والقضايا المشتركة فيما بينهم،ما يخلق مناخ اتصالي فعال ضامن استمرارية الحياة البشرية سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة.

ومن بين العلوم المختصة بدراسة الانسان نجد الأنثروبولوجيا التي تعنى بدراسة الانسان في مختلف أبعاده الحياتية الاجتماعية، الثقافية، السياسية،والاقتصادية، فالهدف الأساسي لهذا العلم هو معرفة خلفيات ومسببات سلوكات الانسان،ونظم والقوانين المسيرة للجماعة داخل المجتمعات،ونتيجة توسع الميادين البحثية للأنثربولوجيا ظهرت رغبة لدى الباحثين لدراسة الاتصال من حيث اللغة المستخدمة والرموز والإشارات التي يستخدمها الانسان للتواصل مع غيره،فظهر ما يسمى أنثروبولوجيا الاتصال التي تسعى لمعرفة الطرق التواصلية التي يستخدمها الانسان للتعبير عن نفسه،والأساليب الاتصالية المعتمدة في الجماعة البشرية.

وبناءا على ما تقدم تهدف مشكلة الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

1-ماذا نقصد بأنثروبولوجيا الاتصال؟

2-ما هي المراحل التاريخية التي مرت بها أنثروبولوجيا الاتصال؟

3-ما هي أنواع الفضاءات الاتصالية؟ وما هي المجالات البحثية لأنثروبولوجيا الاتصال؟

تكمن أهمية الدراسة في الموضوع في تقديم خلفية معرفية حول أنثروبولوجيا الاتصال كعلم يسعى لدراسة السبل الاتصالية التي استخدمها الانسان منذ القدم،ولايزال يستخدمها من أجل التعبير عن أفكاره،ومحاولة الحفاظ على تقاليده وعاداته داخل المجتمع،ولتحقيق هذا الهدف قمنا بتقديم تعريف مفصل لأنثروبولوجيا الاتصال لمساعدة الباحثين على فهم هذا العلم،وبالتالي القيام بدراسات أكاديمية عربية في هذا المجال،لفهم المحيط العربي والإسلامي من الناحية العملية الاتصالية والفعل الاتصالي للمجتمعات العربية منذ القدم،والمجتمعات الحديثة.

بنيت الدراسة على تحقيق عدة أهداف يمكن إيجازها في الأتي:

1-تقديم خلفية نظرية عن مفهوم أنثروبولوجيا الاتصال.

2-عرض أهم لأهم المراحل التاريخية التي صاحبت ظهور هذا العلم.

3-التعرف على أنواع الفضاءات الاتصالية.

4-تقديم موجز لأهم المجالات البحثية لأنثروبولوجيا الاتصال.

لقد قمنا باختيار المنهج الوصفي لكونه المناسب لهذه الدراسة،وقد قمنا بتطبيقه في الجانب النظري للدراسة،وذلك من خلال جمع البيانات المتعلقة بأنثروبولوجيا الاتصال،والمتمثلة في:الكتب،والبحوث العلمية،والرسائل الجامعية،والمقالات المنشورة في المجلات العلمية التي تناولت موضوع أنثروبولوجيا الاتصال،لاستخدامها كمصادر أولية لجمع المعلومات اللازمة حول موضوع الدراسة،لاستفادة منها،واستعمالها في تحرير متن ومضمون البحث .

المحور الأول: مدخل مفاهيمي لأنثروبولوجيا الاتصال؛

المحور الثاني: نشأة وتطور أنثروبولوجيا الاتصال؛

المحور الثالث: فضاءات أنثروبولوجيا الاتصال؛

المحور الر ابع: المجالات البحثية لأنثروبولوجيا الاتصال.

يمثل الاتصال أو ارسال واستقبال الرسائل عنصرا أساسيا بالنسبة لكافة جوانب الحياة الاجتماعية والنظم الثقافية. وتصل أهمية الاتصال الى الحد الذي يجعله يعتبر الصيغة التي تلخص بناء الثقافة والتنظيمات الاجتماعية في اطار النظرية الأنثروبولوجية.ويأخذ الاتصال أشكالا مختلفة متعددة:فيمكن أن يكون الاتصال لفظيا أو لغويا،أو قد يكون شبه لغوي،أو غير لغوي[1].

المحور الأول: مدخل مفاهيمي لأنثروبولوجيا الاتصال

أما من حيث المفهوم فهو نقل محتوى فكرة من شخص أو جماعة الى شخص أخر أو جماعة أخرى، وهناك طرفان أساسيان يشاركان في محتوى هذه الفكرة أو الاحساس أو الاتجاه أو الفعل،وهما المرسل والمرسل اليه (عزور، 2016). أو يمكن القول أنه فن ارسال المعلومات والأفكار والمواقف من شخص لأخر[2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الاتصال كما عرفه "تشارلز كولي" "Cooly" عام 1990 بأنه: "**ذلك (المكانزم) من خلاله توجد العلاقات الانسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه**

[1] شارل سيمور سميث، **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية**، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009، ص 66.

[2] ادوين امري-فليب هـ.أولت وارين ك.أجي، **الاتصال الجماهيري**، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الاعلى للثقافة، 2000، ص17.

الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان،وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات ونغمات الصوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والتلفون،وكل تلك التدابير تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان".

فالاتصال عند "كولي" هو:الآلية التي توجد فيها العلاقات الانسانية وتنمو عن طريق استعمال الرموز ووسائل نقلها وحفظها[1].

وتعني كلمة الأنثروبولوجيا حرفيا:"علم الإنسان."ولما كان الهدف النهائي لمعظم الدراسات الانسانية والعلوم الاجتماعية-وخاصة علم النفس وعلم الاجتماع- دراسة الانسان أيضا. صارت الأنثروبولوجيا كعلم مستقل في حاجة الى تعريف أدق،فهي:" ذلك الفرع من دراسة الانسان الذي ينظر الى الانسان من حيث علاقته بمنجزاته"[2].

أما مصطفى تيلوين فيعرفها من خلال تقسيمها الى شقين،وهما:

1-**التعريف الاشتقاقي**: بالفرنسية:" Anthropologie" مشتقة من الكلمة الاغريقية "Anthropos" ومعناها انسان ولوغوس من "Logos " ومعناها خطاب أو بحث أو دراسة أو علم،وهنا نفضل كلمة علم. معنى فلسفي عام:" الأنثروبولوجيا هي علم وصفي للإنسان".

2-**التعريف الاصطلاحي**: ويمكن ذكر تعريفين أساسيين،وهما:

أ- هي علم من العلوم الانسانية بمعرفة الانسان معرفة كلية وشمولية."

ب-الأنثروبولوجيا علم من العلوم الانسانية يهتم بدراسة الانسان من حيث قيمه (قيم جمالية دينية أخلاقية اقتصادية وثقافية واجتماعية) ومكتسباته الثقافية[3].

إن أنثروبولوجيا الاتصال هو :"تخصص علمي يقوم على دراسة الانسان ككائن يتواصل مع غيره من بني جنسه،كون العلمية الاتصالية مرتبطة به منذ التاريخ القديم،وهي بذلك تعد ظاهرة أنثروبولوجية[4].

أما "ايف وينكن" فيرى أن أنثروبولوجيا الاتصال:"هي قبل كل شيء نظرة معمقة للمجتمع،ترتكز على الأعمال الميدانية المتعددة الأماكن خصوصا المفتوحة منها مثل:دراسة الاتصال في الأسفار،التظاهرات،زيارة

---

[1] نضال فلاح الضلاعين،مصطفى كافي، **نظريات الاتصال والاعلام الجماهيري**، عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، 2016، ص 10.

[2] ايكه هولتكرانس، **قاموس الانثروبولوجيا والفلكلور**، مصر: دار المعارف، 1997، ص 49.

[3] مصطفى تيليوين، **مدخل عام ففي الانثروبولوجيا** . لبنان: دار الفارابي، 2011، ص ص 19-20.

[4] نجاة لحضيري، **تاريخ أنثروبولوجيا الاتصال ومجالاتها البحثية**. مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جانفي 2022، ص48.

المتاحف،المقاهي،الحدائق العامة،الموسيقى،الرقص،القرابة...هذا الافتراض مؤسس على الاثنوغرافيا لا اللسانيات وعلى الاتصال لا اللغة لأن الاتصال لا يقتصر على الرسالة تبادل وتقابل بل كذلك على نسق عام المكون لسيرورة الحياة اليومية[1].

المحور الثاني: نشأة وتطور أنثروبولوجيا الاتصال

تاريخا استعمل أنثروبولوجيا الاتصال كمجال لأول مرة سنة 1967،من خلال اعتبار" Dell Hymes"أن أنثروبولوجيا السلوك والوضعيات ذات قيمة اتصالية،مما جعلها تخصص قائم بذاته ضمن العلوم الاجتماعية،وكانت أعمال "قوفمانGofmane " بمثابة الأرضية التي ساعدت على ظهور وتأسيس التخصص، اضافة الى "جورج هيبرد"و"شارل كولي" الذين طوروا مفاهيمها. ومن بين المساهمات المتعلقة بأنثروبولوجيا الاتصال كتخصص هو المقال المحرر من طرف "Dell Hymes" حول اثنوغرافيا الكلام،الذي يعد تمهيدا لترسيخ المفهوم أكاديميا سنة 1964 باقتراح علاقة اللغة والمجتمع،ثم انتقلت في السبعينات الى دراسة الأنماط والسلوك داخل المجتمعات بكونها ذات قيمة اتصالية.

وفي تسعينات القرن الماضي تحولت أنثربولوجيا الاتصال الى دراسة الفعل الاتصالي داخل المجتمع،وقد ساعد تطور البحوث الاتصالية من حيث الاشكالات المطروحة والمناهج والأدوات المستخدمة في دراسة الاتصال كظاهرة اجتماعية في تشكل مقاربات جديدة لفهم أدق للعملية التواصلية ومعالجة إشكالاتها المتشعبة[2].

وهكذا ومع دراسة الاتصال كظاهرة ثقافية بدأت تتوسع النظرة لمجال أنثربولوجيا الاتصال،لتتحرر من الانشغال للغوي الذي كان منطلق بداية هذا العلم،على دراسة كل السلوكيات والوضعيات والأشياء الموجودة عند جماعة معينة على أساس انها لها قيمة اتصالية.

وقد كانت ابرز انتقادات الطالب " Sherzer Joel" -الذي يعتبر من أوائل طلبة "Dell Hymes"- دور كبير في نقل أنثربولوجيا الاتصال الى أفاق جديدة حيث تؤكد هذه الدراسات أنه يتم الالتزام فيها بوصف:

1. السبل والوسائل الاتصالية للجماعات والمجتمعات.
2. استعمال هذه السبل والوسائل.

[1] كريمة شعبان. (2019). **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر 3، 2018-2019، ص ص80-81.

[2] نجاة لحضيري، مرجع سابق، ص 44.

3. العلاقات المتبادلة بين السبل والوسائل وأنواع الخطابات وأنواع التفاعل الاجتماعي.

4. العلاقة بين صيغ الاتصال وباقي المجالات الثقافية والتنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني.

كما تحدث " Sherzer Joel" في ذات المساهمة عن ضرورة أن تكون لأنثروبولوجيا الاتصال امكانية تكوين أفراد يكونون قادرين على القيام بأبحاث حول مجتمعاتهم الأصلية،كباحثين ومحللين محليين كمشاركين وملاحظين محليين،وهو انشغال مبني على اعتقاد لدى الكثير من باحثي أنثربوولوجيا الاتصال من أنه من الصعب على الباحثين الذهاب بعيدا في دراساتهم اذا ما كانوا غرباء عن السياقات المحلية موضوع الدراسة في مجال أنثروبولوجيا الاتصال[1].

من بين أهم الدراسات التي ساهمت في بناء الفضاء الأنثروبولوجي الاتصالي وبالتالي استخلاص مفاهيم اتصالية جديدة، نذكر ما يلي:

1. حضارة المشافهة Maurice Houis:

بدراسة في الأنتروبولوجيا اللسانية باقتراب اتصالي،لاحظ الباحث أن هناك أسلوب شفهي يمثل حضارة المشافهة خاصية فقدها المجتمع الأوروبي لأي اللغات فيه للعيون أكثر للأذان،حيث تساءل عن الشعوب بدون كتابة أو التي لا تهتم بالقراءة حول ماذا لديهم من تقنية اتصال اذا لم تكن هناك كتابة؟

فمن البديهي أن تحافظ هذه المجتمعات على ارثها الثقافي عن طريق نصوص تذكيرية متعددة قابلة للحفظ والفهم. فلاحظ أن هذه المجتمعات تعتمد على المشافهة التي تعد تقنية اتصال أساسية حتى وان لم تتفاعل فعالية الكتابة معها،إلا أنها تستمر في عملية تخليد المجتمع وارثه الثقافي كون هذه التقنية تتميز بعناصر فعالة للاتصال والاستمرار.

2. أنتروبولوجيا الاتصال عند Yves Winkin:

الاتصال يعرفه هذا الأخير على أنه كل ما ينتجه الانسان في أي وضعية اجتماعية،وكذلك هو التعبيرات الناتجة عن كل الفاعلين الاجتماعيين، فحسب "Yves " أن هناك الكثير من يهتم بالاتصال،لكن الأقلية منهم من قام ببناء نظرية بالرجوع الى ميدان الحياة المجتمعتية، ولاحظ الاتصال على أصله بالفعل،سماه برهان الأنثروبولوجيا الاتصال: تعلم مشاهدة الاتصال في الكلام،الحركات، النظرات...

[1] رضوان بوجمعة، **أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل-محاولة تحليل أنثروبولوجي**، أطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، 2006-2007، ص ص96-97..

3. الاتصال الثقافي التثاقفي Lipiansky:

يقصد به التقاء الأشخاص الذين ينتمون الى ثقافات مختلفة،الالتقاء هنا يتمثل في مميزات العلاقة التي تربط ما بين الأشخاص،الجنسية ما هي إلا عاملا لهذا الاختلاف فالمحيط الاجتماعي،الجنس،السن، الأصل الاثني،مكان السكن،الدين والاتجاه السياسي هي التي تحدد هذا النمط من الاتصال.

اذن الاختلاف هنا يتمحور في الطباع الناتجة عن التنشئة الاجتماعية القائمة على نظام من القيم والمعايير،علاقة معاشة وطقوس التفاعل النابعة من الثقافة التي ينتمي اليها الفرد،تمثل كلها الهوية الثقافة التي سنها الفرد سلوكاته،وسلوكه الاتصالي[1].

اقترح "Dell Hymes" نموذج Speaking والذي حدده كهدف تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي الذي يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال،والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة،ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات،حدد فيما يلي:

- **السياق Setting**: وحدده في مكان،ووقت وأجواء الاتصال.
- **المشاركون Participants** : كل المشاركين سواء أكانوا قد أخذوا الكلمة أو لا.
- **الغايات Ends**: ويقصد به هدف ونتاج اللقاء.
- **الأفعال أو المنتوج Acts** : ويقصد به الرسائل في حد ذاتها،في موضوعها،وفي شكلها.
- **النبرة Keys**: الخصائص البروزودية للرسائل أي نبرات الرسائل.
- **الوسائل والأدوات Instrumentalities**: ويقصد بها وسائل الاتصال،وتتضمن الوسائط، والقنوات-اللغةالمنطوقة،المغناة،المكتوب،والمجاورة،والمدونات-لغات،لهجات،ومستويات اللغة.
- **المعايير Norms**:معايير التفاعل التي تضبط أخذ الكلمة وتوزيعها،وقواعد ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية.
- **الأنواعGenres** : ويقصد بها أنواع أو انماط الخطابات،أي الفئات التي يصنف من خلالها أعضاء جماعة ما نشاطاتهم اللفظية قصص،حكايات غربية،ماسي..

[1] خديجة الزاوي، **مرجع سابق**، ص ص02-04..

وهذا النموذج هو الذي يشكل ميلادا مهيكلا لأنثروبولوجيا الاتصال بعيدا عن علم اللسان وعلم اللغة اللذين كانا نقطة انطلاق"Dell Hymes" قبل تأسيس هذا العلم الجديد،فقد كان منتهى هذا النموذج ما أكده " Hymes " أنه:"من واجب الاثنوغرافيا وليس اللسانيات،وواجب الاتصال وليس اللغة توفير الاطار المرجعي الذي فيه يمكن تحديد مكانة اللغة في الثقافة وفي المجتمع"[1].

المحور الثالث: فضاءات انثروبولوجيا الاتصال

يعرف "Hall.E.T" في مؤلفه "اللغة الصامتة"الفضاء هو:"كل شيء حي يملك حدا طبيعيا أو ماديا يفصله عن المحيط الخارجي،من الحشرة الى أبسط خلية لدى الانسان وكل عضو يملك حدودا يمكن ادراكها،والتي تحدد بدايته ونهايته،ويحتوي مصطلح الفضاء أو المكان على مجموعتين من الأعمال،وهي تلك المتعلقة بالأقاليم والمسافات الشخصية.

أما مؤسس أنثروبولوجيا الاتصال "دال هايمس" فقد عبر عن الفضاء بوصفه إطارا،أي اطار الاتصال الذي يشمل الزمان والمكان وجو الاتصال،يتم في كل مجتمع انتاج التدفق والارتداد في الحياة الاجتماعية في فضاء في مغارة،في مخيم،في قرية،في بيت،في مكتب،في ملعب،في حديقة أو غيره من الأماكن،ولا يوجد أي شك أننا نعيش تحت ضغط هذا الفضاء،فالفضاء يعبر عن الحياة والوجود فلا أحد موجود ان لم يعبر عن وجوده بين الأفراد،وهناك لغة التواصل فبدون لغة ليس هناك وجود،وليس بالضرورة أن تكون لفظية[2].

من خلال ما سبق نخلص الى أنه لا يمكن الحديث عن العملية الاتصالية بمعزل عن الفضاء الخارجي الذي يتكون من بيئات اجتماعية واقعية وممارسات رمزية في الزمن والمكان وفي التعامل والتفاعل،ويمكن تعريف الفضاء على أنه:"الحيز العام الذي تتحقق فيه العملية الاتصالية سواء بالوسائل التقليدية الشخصية أو عن طريق الوسائل الاتصالية الحديثة التي تعتمد على القاعدة الرقمية".

يتفرع الفضاء الى عدة أنواع،ويمكن اختصارها فيما يلي:

- **المجال الرمزي**: هو الدلالات والمعاني التي تصاحب العملية الاتصالية:التي تتمظهر في مختلف الأشكال التعبيرية المتعددة:الثقافة،والموسيقى،والفنون،واللباس،والعادات البشرية المتعددة السلوكية

[1] بوجمعة رضوان، مرجع سبق ذكره، ص ص101-102.

[2] أمينة بصافة، **أنثروبولوجيا الاتصال والمؤسسة الاجتماعية بفضاء اتصالي جزائري دراسة أثنوغرافية ميدانية**، مجلة أفاق للعلوم، المجلد 01، العدد 01، جوان 2016، ص ص45-46.

منها تلك المرتبطة بتاريخه،ولغته،ودينه وتوجيه الفكري،واللغة والدين والممارسات السياسية والاجتماعية،والتي يمكن أن تؤثر أو تتأثر بها جماعة بشرية محلية أو خارجية.

• **المجال الجغرافي**: يقصد به المكان الذي تحدث فيه العلمية الاتصالية،مثلا الفضاء الخاص أو الفضاء العام. ويضم المكان الجغرافي الى جانب الحيز والعمران ومختلف فضاءات ممارسة العملية الاتصالية (المنزل،المدرسة،الجامعة،السوق،المؤسسات الرسمية وغير رسمية ...وغيرها) بعضا من الخصوصيات التي تتسم بها الجماعة البشرية التي تحتل هذا الفضاء،مما يربط بكل من:المجال الرمزي وبالسياق واللغة،بحكم أن اللغة هي وسيلة تواصل رئيسية للإنسان.

• **السياق**: يقصد به العوامل الخارجية المصاحبة والمؤثرة في العملية الاتصالية،فهو يرتبط بالفترة التاريخية،العوامل السياسية،والاجتماعية،والثقافية والاقتصادية في البيئة التي تحدث فيها العلمية الاتصالية،اضافة الى اللغة كوسيلة هامة لتحقيق الاتصال،وهي العنصر المهم في تشكيل الرسالة،التي تحمل في طياتها دلالات ومعان تعكس فكر وسلوك الفرد مع خصوصياته الثقافية في النسق العام[1].

المحور الرابع: المجالات البحثية لأنثروبولوجيا الاتصال

يتوجب علينا الحديث عن الكيفية التي أصبح بها الاتصال تجربة أنثربولوجية،فالتعريف الذي وصل الى اعتبار الاتصال تجربة أنثروبولوجية جاء محصلة مسار اتساع مجال الاتصال في الحياة اليومية،وإرادة الباحثين في التحرر من مفاهيم الاتصال الكلاسكية،وقد بدأت هذه الارادة مع عدة باحثين في النصف الثاني من القرن الماضي،ومن هذه التعاريف الأولى التي كانت أعطت مؤشرات وجود ارادة لهذا التحرر،تعريف " R.Birdwhistell" الذي أكد فيه أن:"الاتصال نسق سلوكي مدمج،يقوم بتصنيف وضبط وحفظ السلوكيات،ومنه يجعل هذا العلاقات بين الناس ممكنة."

وقد كانت مساهمة "Paul Watzlawick" رائد مدرسة بالو ألطو،مهمة كذلك في هذا المجال،حيث تحدث الاتصال كلغة للتغيير،وعن امكانية أن يكون الاتصال مصدرا لتغيير فيزيائي،وهذا بقوله:"ان بعض الاتصالات الشخصية ليس لها أثر فقط في تغيير بعض الامزجة،الآراء والمشاعر كما يلاحظ يوميا،لكن يمكن أن تكون في ذات الوقت مصدر لتغيير فيزيائي لا يمكن أن ينتج بشكل قصدي".

[1] نجاة لحضيري، مرجع سابق، ص ص 44-45.

لذا يمكن القول أن الاتصال هو تجربة أنثربولوجية قبل كل شيء،لأن الاتصال هو حقيقة في الواقع،ونموذج ثقافي في حد ذاته،وهو أمر محسوم بالنسبة للأنثربولوجيين،فأن تتصل هذا يعني أن تبادل شيئا ما مع الأخر،فلا يوجد وببساطة حياة فردية ولا جماعية بدون اتصال،وكل تجربة شخصية او تجربة أي مجتمع تقتضي تحديا لقواعد الاتصال.

والاتصال هو تجربة أنثربولوجية حيث يؤكد علماء الأنثربولوجيا والمؤرخون على أنه لم يسبق وأن كان هناك اتصال لذاته،فالاتصال كان دائما مرتبطا بنموذج ثقافي،بمعنى عبر تماثل الأخر[1].

إن أنثروبولوجيا الاتصال هو تخصص علمي يقوم بدراسة الانسان ككائن يتواصل مع غيره من بني جنسه كون العلمية الاتصالية مرتبطة به منذ التاريخ القديم، وهي بذلك ظاهرة أنثروبولوجيا،منهجيا تعتمد البحوث الأنثروبولوجية على عدة مقاربات منها:المقاربة الميدانية التي ترى أن"اكتشاف الواقع المعاش وسيرورة الأحداث والتصرفات لا يتأتى إلا عن طريق المعاينة الامبريقية.

كما أن هذه المقاربة تعتمد أساسا على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن بواسطة عدد من التصميمات كالدراسات الاستطلاعية ودراسة الحالة وتحليل المضمون،والدراسات المسحية أو بما يسمى بالمسح الاجتماعي.والملاحظة التي تقوم ب"مراقبة ومعاينة أفراد الشعب الذي تجري عليه الدراسة في أثناء تأدية أعمالهم اليومية المعتادة.

فأنثروبولوجيا الاتصال تعنى بدارسة الثقافة من حيث سيرورتها داخل نسق اجتماعي،ولكون الاتصال ذات قيمة أنثروبولوجية،فلا يمكن الاستغناء عن الاتصال في المجتمع.ومن زاوية دراسات أنثروبولوجيا الاتصال فهي تدرس السلوك،والاستخدام والأهداف الكامنة وراء العلمية الاتصالية،الى جانب الوسائل المستخدمة والبيئات التي تحدث فيها بربطها بالسياق الزماني والجغرافي.

وبذلك تختلف من بيئة لأخرى ومن وسيلة لأخرى،وبخاصة وأن القيمة الاتصالية هي التي تمثل الجانب الأنثروبولوجي للعملية الاتصالية[2]

[1] بوجمعة رضوان، مرجع سبق ذكره، ص ص98-101.

[2] بوجمعة رضوان، مرجع سبق ذكره، ص ص45-46.

خلاصة:

يمكن القول كخلاصة للدراسة أن أنثروبولوجيا الاتصال هو:"تخصص علمي يقوم على دراسة الانسان ككائن يتواصل مع غيره من بني جنسه، كون العلمية الاتصالية مرتبطة به منذ التاريخ القديم،وهي بذلك تعد ظاهرة أنثروبولوجية."

وأهم ركيزة لأنثروبولوجيا الاتصال هو اعتبار هذا الأخير هو تجربة أنثروبولوجية قبل كل شيء،لأن الاتصال هو حقيقة في الواقع نموذج ثقافي في حد ذاته،وهو أمر محسوم بالنسبة للأنثروبولوجيين والمؤرخين حيث يؤكده على أنه لم يسبق وأن كان هناك اتصال لذاته،فالاتصال كان دائما مرتبطا بنموذج ثقافي.

لذا نقول أن أنثروبولوجيا الاتصال هو علم جديد يحتاج لمزيد من الكتابات العلمية في هذا المجال، بغية توضيح الرؤية للباحثين الراغبين في القيام بدراسات علمية لفهم أنماط التفكير والتعبير الموجودة في المجتمعات البشرية بهدف فهم العلمية الاتصالية، ومكونات هذه الأخيرة بالخصوص المرسل والمستقبل والرسالة الاتصالية.

قائمة المراجع

1. شارل سيمور سميث، **موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثربولوجية**، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009.

2. ادوين امرى-فليب هـ.أولت وارين ك.أجي، **الاتصال الجماهيري**، القاهرة: المشورع القومي للترجمة، المجلس الاعلى للثقافة، 2000.

3. نضال فلاح الضلاعين،مصطفى كافي، **نظريات الاتصال والاعلام الجماهيري**، عمان: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، 2016.

4. ايكه هولتكرانس، **قاموس الانثروبولوجيا والفلكلور**، مصر: دار المعارف، 1997.

5. مصطفى تليوين، **مدخل عام ففي الانثروبولوجيا** . لبنان: دار الفارابي، 2011.

6. نجاة لحضيري، **تاريخ أنثروبولوجيا الاتصال ومجالاتها البحثية**. مجلة التميز الفكري للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جانفي 2022.

7. كريمة شعبان. (2019). **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**، مطبوعة بيداغوجية، جامعة الجزائر 3، 2018-2019.

8. رضوان بوجمعة، **أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل-محاولة تحليل أنثروبولوجي**، أطروحة دكتوراة، جامعة الجزائر كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، 2006-2007.

9. أمينة بصافة، **أنثروبولوجيا الاتصال والمؤسسة الاجتماعية بفضاء اتصالي جزائري دراسة أثنوغرافية ميدانية**، مجلة أفاق للعلوم، المجلد 01، العدد 01، جوان 2016.